©2020 Focus on the Family. All rights reserved. Used with permission. Originally published in English in the January 2010 Focus on the Family's Clubhouse magazine.

خارج الصندوق

الساعي إلى الحق (أمثال ١٥:٩)

الكثير من الأطفال يحاولون أن يحدوا الله في مساحة ضيقة جدًا من حياتهم، فيضعوا الله في صندوق ولا يُسلِّموا كل جزء من أنفسهم له.

لكن المحاولة في وضع الله في صندوق هي محاولة سخيفة؛ فالقدير لا يمكن احتواؤه بداخل خمسة جوانب وغطاء. إننا بعقولنا الخاطئة عادةً ما نحد الله في مساحة صغيرة، ظنًا منا أن الله لا يمكن أن يسدد كل احتياجاتنا، أو أنه من غير الممكن أن يساعدني الله في كل مشاكلي، أو من المستحيل أن يحبني الله بالكامل.

لكن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة! توقف عن قراءة هذا المقال للحظة وتخيل إلهًا.. معرفته لا يمكن إدراكها ، وقوته ليس لها حدود، ومحبته لا نهاية لها.

هل انتهيت؟ حسنًا، مهما كان ما تخيلته فهو ليس قريبًا بما يكفي؛ فأفكارك مقيّدة بالحدود البشرية.. أنت، في الواقع، لم تُنزل سوى إصبع قدمك فقط في محيط هائل لا يوصَف من معرفة الله!

صورة خارقة

هل تريد صورة دقيقة لله؟ اقرأ مزمور ١٣٩. (عند طلبك من والديك أن يقرءاه معك فهذا يخلق وقتًا عائليًا رائعًا.) هذه الترنيمة البارعة التي كتبها داود الملك تُعلِن عن معرفة الله المُفَصلة بنا، وعن محبته لنا، وعن اهتمامه بخلقنا.

كثير من الناس يتخيلون الله وكأنه جِد خارق للطبيعة، يراقبنا ونحن نركض حول غرفة ألعاب الأرض، وينهض من كرسيه الكبير المريح من وقت لآخر ليواسينا عندما نقع ونجرح ركبتنا. آخرون يرون الله وكأنه «ساعاتي» إلهي يدير ساعة العالم ليجعله يبدأ، لكن بعد ذلك يرجع للوراء ليدعه يعمل من تلقاء نفسه.

لكن الله ليس هكذا على الإطلاق، فهو إله شخصي وفعّال ومحب. فقط انظر لكيف وصفته أول خمسة أعداد من مزمور ١٣٩:

- أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي.
- فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ.
- مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ (عرفت).
- مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي.
- جَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ.

إن الله ليس بعيدًا أو غير مبالٍ، لكنه أب سماوي محب، يعرف كل تفصيلة عنك.. لون عينيك، ووزنك، وعدد شعر رأسك. إنه يعرف الحلوى المفضلة لديك، ويعرف أنك تقرأ هذه المقالة الآن، إنه حتى يعرف كلماتك التالية التي ستنطق بها.

هنا وهناك و...

إن الله لا يعرف فقط كل شيء، بل هو أيضًا يوجد في كل مكان (انظر الأعداد ٧ - ١٢). قد يكون هذا فهمه صعبًا، لكن الله ليس بشرًا.. الله روح وهو يسكن كل مكان، وكل زاوية من الكون هي تحت سلطانه.

في الواقع، إن وجود الله يتجاوزنا بكثير، فهو موجود قبل وجودنا بوقت طويل. تحتوي الأعداد في مزمور ١٣٩ : ١٣ - ١٦ على واحد من أجمل الأوصاف لقدرات الله الإبداعية في الكتاب المقدس. الرب الإله القدير، الذي خلق عددًا لا نهائي من الكواكب والنجوم والمجرات، هو نفسه الذي شكّلك بعناية من لا شيء. فهو «نسجك» على صورته بمهارة صانع بارع.

صدق أو لا تصدق

قدّر العلماء أن الكون يحتوي على ٧٠ سكستليون نجم (هذا الرقم هو ٧ و ٢٢ صفر)!

٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

بالرغم من هذا الكون الشاسع، إلا أن الآية في مزمور ١٤٧ : ٤ تخبرنا أن اللّه : «يُحْصِي عَدَدَ الْكَوَاكِبِ. يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ.» هل يمكن أن تتخيل معرفة أسماء بهذا الكم؟ ومع ذلك فالآية السابقة لهذه الآية تقول: «يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ.»

إن اللّه إله قوي وشخصي (أي يريد أن يقيم علاقة شخصية مع كل منا) على حد سواء، لذا فأفضل اختيار يمكنك أن تقوم به هو أن تعرفه أكثر كل يوم!

محبوب بدون حدود

دع هذه الحقائق تشجعك! هل تصارع مع الوحدة؟ هل تشعر بالسوء من أجل كل المرات التي أخطأت فيها؟ هل سبق وفكرت بأنك لست جيدًا بما فيه الكفاية؟ حسنًا، إن مزمور ١٣٩ يعلن الخطأ في ذلك التفكير، والسبب تجده في هذه الحقيقة الرائعة: الله يعرفنا بشكل كامل.. وهو ما يزال يحبنا!

لنواجه الأمر.. نحن لسنا فينا شيء يُحب؛ فبعيدًا عن الله نحن أناس مملوؤن بالخبث والأنانية وعدم الطاعة، والله يعرف ظُلمة قلوبنا المليئة بالخطية. فكل فعل عدم طاعة من جهتنا يُسَجَّل في مكتبة السماء (رؤية ٢٠ : ١٢). لكن بالرغم من كل هذا، الله نظر إلى ابنه الوحيد، يسوع المسيح، وقال: «إنهم يستحقون الموت، ولكنني أريدك أن تتأمل بدلاً عنهم.»

ما الذي قد يدفع الله لفعل هذا؟ لأنه يحبنا.

الأمر أكبر من ذلك

هل تقفز وتصيح من الفرح بعد؟ قد ترغب في هذا! هذه هي الحقيقة الرائعة في مزمور ١٣٩، وهي أن الله قدوس بلا خطية قد خلق البشر بكل حب، وراقبنا ونحن نختار أن نعصاه، ولكنه ظل يحبنا لدرجة أنه أرسل المسيح ليموت عن خطايانا.

هل تعلم ما يعني هذا؟ أنت لا تقدر بثمن بالنسبة لله.. رب هذا الكون يحبك أكثر مما تتخيل. فهو يريدك أن تتوب عن خطاياك وتثق به، حتى يستطيع أن يرحب بك لتعيش معه للأبد.

يا له من إله رائع!

إذًا، هل تذكر ذلك الصندوق الوهمي الذي قد تكون وضعت الله فيه؟ فلتفتحه على مصراعيه! إن الله ومحبته أكبر بكثير من الصناديق الصغيرة لعقولنا المحدودة.

لنبدأ بالتفكير بأفكار كبيرة عن الله!

FOCUS ON THE FAMILY® Middle East